الحياة الاجتماعيـــــــــة

التضامن مرآة للروح الاجتماعية

تُعَدُّ العَادَاتُ وَالتَّقَالِيدُ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنْ نَسِيجِ الْمُجْتَمَعِ الْجَزَائِرِيِّ، فهي تَعْكِسُ الْقِيَمَ الْإِنْسَانِيَّةَ المتوارثة عبر الأجيال. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْقِيَمِ: رُوحُ التَّضَامُنِ التي تظهر في العديد من الأشكال منها:

''التُّوِيْزَةُ''، وَهِيَ عَادَةٌ قَدِيمَةٌ تَجَسِّدُ التَّعَاوُنَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ جُهْدًا جَمَاعِيًّا، مِثْلَ حَصَادِ الْمَحَاصِيلِ الزِّرَاعِيَّةِ أَوْ بِنَاءِ الْمَنَازِلِ. يَجْتَمِعُ أَفْرَادُ الْقَرْيَةِ أَوِ الْحَيِّ لِيَعْمَلُوا مَعًا فِي إِنْجَازِ الْمَهَمَّةِ، فَيُقَدِّمُ الْجَمِيعُ جُهْدَهُمْ بِلَا مُقَابِلٍ، مَدْفُوعِينَ بِرُوحِ الْعَطَاءِ وَالْمُسَاعَدَةِ الْمُتَبَادَلَةِ. هناك أيضا ''الزَّرْدَةُ''، وَهِيَ تَجَمُّعَاتٌ تُنَظَّمُ فِي الْقُرَى وَالْمَنَاطِقِ الرِّيفِيَّةِ، إِذْ يَجْتَمِعُ النَّاسُ لِإِعْدَادِ الطَّعَامِ وَتَنَاوُلِهِ جَمَاعِيًّا. وهي فُرْصَةٌ لِتَبَادُلِ الْحَدِيثِ وَالذِّكْرَيَاتِ وَتَعْمِيقِ الرَّوَابِطِ بَيْنَ الأَفْرَادِ. كَذَلِكَ، لَا يُمْكِنُ إِغْفَالُ أَهَمِّيَّةِ التَّضَامُنِ فِي الْمُنَاسَبَاتِ الدِّينِيَّةِ مِثْلَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَعِيدِ الْأَضْحَى والفطر، حَيْثُ تَنْتَشِرُ عَادَةُ ''قُفَّةِ رَمَضَانَ'' و ''كسوة وكبش العيد''الَّتِي تُعْنَى بِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ وَتَوْزِيعِهَا عَلَى الْأُسَرِ الْمُحْتَاجَةِ. دُونَ أَنْ نَنْسَى الْعَمَلِيَّاتِ الْخَيْرِيَّةَ لِجَمْعِ الْأَمْوَالِ مِنْ أَجْلِ مَرْضَى أَوْ مُعَوِّزِينَ أَوْ دَعْمًا لِأَصْحَابِ مَشَارِيعَ بَسِيطَةٍ يَقُومُ عَلَيْهَا خَيْرَةُ شَبَابِ الْوَطَنِ، وَمِنْ ذَلِكَ صَفْحَةُ الْفَيْسْبُوكِ:
'' top comentaire'' وَمُتَابِعُوهَا.

فِي خِضَمِّ التَّحَدِّيَاتِ وَالصُّعُوبَاتِ، تَظْهَرُ هَذِهِ الْعَادَاتُ كَدِرْعٍ يُحَمِي الْمُجْتَمَعَ وَيُعَزِّزُ مِنْ وَحْدَتِهِ وَتَمَاسُكِهِ. فتقوي مِنْ شُعُورِ الْانْتِمَاءِ وَتَزْرَعُ فِي النُّفُوسِ قِيَمَ التَّكَافُلِ وَالْمُسَاعَدَةِ. وتُسَاهِمُ فِي تَقْوِيَةِ الرَّوَابِطِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ الْجَزَائِرِيَّ نَمُوذَجًا يُحْتَذَى بِهِ فِي التَّضَامُنِ وَالتَّآزُرِ.

حرائق الغابات

بَعِيدًا عَنْ ضَوْضَاءِ الْمَدِينَةِ، وَفِي أَعَالِي جِبَالِ الْقَبَائِلِ وَغَابَاتِهَا الْكَثِيفَةِ، فِي يَوْمٍ صَيْفِيٍّ حَارٍّ شَبَّ حَرِيقٌ هَائِلٌ، سُرْعَانَ مَا زَحَفَتْ أَلْسِنَتُهُ لِتَلْتَهِمَ فِي طَرِيقِهَا الْأَشْجَارَ الْيَانِعَةَ، والْحَيَوَانَاتِ الْمَذْعُورَةَ. وَصَلَتْ أَلْسِنَةُ النَّارِ إِلَى بَعْضِ الْمَنَازِلِ، فَصَيَّرَتْهَا رَمَادا فِي لَحَظَاتٍ، فِيمَا كَانَ صَوْتُ الصُّرَاخِ وَالنِّدَاءِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْجِبَالِ .

أُعْلِنَتْ حَالَةُ الطَّوَارِئ، وَهَبَّ الْجَمِيعُ لِمُسَاعَدَةِ إِخْوَانِهِمْ. وَوَسَطَ هَذَا الْوَضْعِ الْعَصِيبِ، ظَهَرَتْ مَلَامِحُ التَّضَامُنِ الْحَقِيقِيِّ، حَيْثُ لَمْ يَتَأَخَّرْ أَحَدٌ عَنْ تَقْدِيمِ يَدِ الْعَوْنِ. كَانَتِ الشَّاحِنَاتُ تَتَدَفَّقُ حَامِلَةً الْأَطْعِمَةَ وَالْأَغْطِيَةَ، بَيْنَمَا يَتَسَابَقُ النَّاسُ عَلَى تَقْدِيمِ التَّبَرُّعَاتِ مِنَ الْمَالِ وَالدَّوَاءِ. آخَرُونَ، تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَحَمَلُوا دِلَاءَ الْمَاءِ وَالْمِجْرَفَاتِ، مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ الْجِبَالِ، حَيْثُ التَقَوْا بِجُنُودِ الْجَيْشِ الْوَطَنِيِّ وَأَفْرَادِ الْحِمَايَةِ الْمَدَنِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا يُكَافِحُونَ ضِدَّ النِّيْرَانِ بِشَجَاعَةٍ لَا تُوَصَفُ. مرّتْ أَيَّامٍ قَاسِيَةٍ قَبْلَ وُصُولِ الطَّائِرَاتِ الْمُخَصَّصَةِ لِإِطْفَاءِ الْحَرَائِقِ، ولَمْ يَتَرَاجَعْ أَحَدٌ عَنْ مُسَاعَدَةِ الْآخَرِ. ظَلَّتِ الْجُهُودُ تَتَوَاصَلُ لَيْلا نَهَارا حَتَّى نَجَحُوا أَخِيرًا فِي إِخْمَادِ النِّيْرَانِ .

رَغْمَ النَّجَاحِ فِي إِخْمَادِ الْحَرِيقِ، إِلَّا أَنَّ الْفَاجِعَةَ كَانَتْ ثَقِيلَةً، فَقَدَتْ الْجَزَائِرُ عَشَرَاتٍ مِنْ شَبَابِهَا الْأَبْطَالِ الَّذِينَ قَدَّمُوا أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِ الْآخَرِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ الْبَطَلُ''جَمَال بِنْ اسْمَاعِيل''، مُخَلِّفِينَ وَرَاءَهُمْ وَجَعًا أَلِيمًا ورِسَالَةً وَاضِحَةً مَفَادُهَا أَنَّ أَبْنَاءَ الْجَزَائِرِ دَائِمًا مَا يَضَعُونَ الْيَدَ فِي الْيَدِ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ، وَأَنَّهُمْ عَلَى أَتَمِّ الْاسْتِعْدَادِ لِلتَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ لِأَجْلِ أَنْ تَظَلَّ بِلَادُهُمْ بِخَيْرٍ.